خليص في التاريخ المنسي (7)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

بدأ تعليم البنات على استحياء في خليص في عام ١٣٨٥ هجرية على وجه التقريب - يزيد ولا ينقص - أثناء إمارة سعد بن نفيسه . وكانت ابنتاه (منيره وفاطمه) على درجة متواضعه من التعليم ، ودرجة عالية من فهم حاجة المجتمع النسوي إلى القراءة والكتابة . كانتا معلمتين هدية الصدف في السبع العجاف ؛ كأنما التوقيت ضرب لهما موعدا : فكون أبوهما أميرا سهل مهمتهما ، وعزز ثقة الناس فيهما ، وخفف من التحفظ .

يرجع (عبدالله الوشمي) القلق والتوجس من تعليم المرأة لعدة أسباب " فتعليمها يقتضي خروجها من البيت إلى المدرسة ، ومن الحياة المغلقة إلى الانفتاح على معارف جديدة ، ومن المعتاد إلى المثير ، ومن طمأنينة أحكام المجتمع والعائلة إلى المؤسسة "

ولم تكن فضيلة هذه المبادرة مخرجاتها التعليمية ؛ فهي لم تطمح إلى منجز ، ولم تستهدف شريحة كبيرة . إنها بين (الكتاب والتحفيظ) أشبه بالدروس الخصوصية ؛ وقد كان أصحابها يدركون بعد الغاية ... وضعف إمكانياتهم ، وربما - التعليم بمقابل ، جعل القبول نوعيا ، وحدّ من (كم) المتقدمين .

نستأنف القول في أنه لم تكن فضيلة هذه المبادرة مخرجاتها التعليمية - ؛ بل أنها أدخلت مفهوم (تعليم البنات) دائرة المتداول ، ولم يعد صادما في دوائر الممانعة الدينية والإجتماعية .

" هذه توطئة وإشارة عابرة في تعليم البنات ، وأحسب أنها صنعت ذاكرة بخليص عند كثير من الراصدين " لكن معركة الحسم أدارها الشيخ مساعد بن عبدالرحيم المغربي . " وكان دوره المحمود في تعليم المرأة يشكل تحولا في المجتمع الذي يتربص بكل طارئ على منظومة عاداته وتقاليده التي تمسكت ببعض جاهلية تأصلت في غفلة من استشراف المستقبل ، وغياب الوعي بأهمية تعليم المرأة ومخرجاته .

والشيئ بالشيئ يذكر ؛ فقد قامت بموازاة المدرسة الصباحية للبنات : مدارس مسائية لربات البيوت ؛ وحتى نستوعب الأمر ونضعه في مصاف الإنجازات الخالدة نشير إلى أن بعض خريجات المدارس المسائية = الليلية كما كانت تسمى - أكملوا تعليمهن في المعاهد ، وباشرن تدريس بناتهن ، وحلوا محل الوافدات " ومثل ماذكرنا (منيرة وفاطمة) في مرحلة التأسيس ، نذكر (صبحية شبير) و (مجيدة فارس) في مرحلة البناء قبل ملأ الشواغر ، وسعودة الوظائف التعليمية والتربوية بجيل توشح بالأخضر ، وكتب اسمه على ناصية التاريخ ...

محمد علي الشيخ